الفصل الثاني

التفكير الإبداعي

مفهومه ، خصائصه ، مكوناته

مقدمة :

يعد مفهوم التفكير الإبداعي من المفاهيم التي اختلف بشأنها العلماء والباحثين، ولذا فإنه لا يوجد مفهوم واحد محدد لهذا المصطلح؛ بل إن هناك مفاهيم عدة ارتبطت بمفكرين كل منهم له طريقته الخاصة للنظر إلى طبيعة الدراسة التي تتناول التفكير الإبداعي؛ فقد سارت الأبحاث في مجال التفكير الإبداعي على جبهة عريضة مليئة بالتشعب والتنوع، فمنهم من ينظر إليه على أنه عملية ذات مراحل متعددة ومتتابعة، تبدأ بالإحساس بالمشكلة وتنتهي بالحدس أو الإشراق الذي يحمل في طياته الحل المنتظر، ومنهم من ينظر إليه على أنه الإنتاج الإبداعي الذي يتسم بالجدة، والندرة، والقيمة الاجتماعية، وعدم الشيوع، ويتناول فريق ثالث من العلماء التفكير الإبداعي من خلال العوامل العقلية التي تتدخل في تكوينه بشكل مباشر.ولكن بداية لابد أن نعرف ما المقصود بالإبداع؟

مفهوم الإبداع:

والتعريف اللغوي للإبداع يعني أن الإِبْدَاع يأتي من بدع الشيء وابْتَدَع أتى بِبِدْعة؛ أي أوجده من لا شيء أو من العدم أو أنشأه من غير مثال سابق. والإبْدَاع (عند الفلاسفة) إيجاد الشيء من عدم.

وأصل الكلمة في الإنجليزية Creativity or Creativeness والفعل يخلق Create أصلة اللاتيني Creare ومعناه القاموسي يخرج إلى الحياة، ويصمم ويخترع أو يكون سبباً.

والإبداع اصطلاحاً يعنى: " ابتكار الشيء على غير مثال سابق" وتعرفه الموسوعة الفلسفية العربية": بأنه: (إنتاج شيء جديد، أو صياغة عناصر موجودة بصورة جديدة في أحد المجالات كالعلوم والفنون والآداب). وفي الموسوعة البريطانية الجديدة هو: (القدرة على إيجاد شيء جديد، كحل لمشكلة ما، أو أداة جديدة، أو أثر فني أو أسلوب جديد).

ويلاحظ من خلال هذه المفاهيم الثلاثة أن الإتيان بشيء جديد هو قاسم مشترك لمفهوم الإبداع.

وقد تباينت آراء العلماء حول طبيعة الإبداع فبعضهم يقصد بالإبداع القدرة على خلق شيء جديد أو مبتكر تماما وإخراجه إلى حيز الوجود، بينما يقصد بعضهم الآخر العمليات وخصوصاً السيكولوجية منها، والتي يتم بها ابتكار الشيء الجديد ذي القيمة العالية، في حين ينظر فريق ثالث إلى الإبداع في حدود العمل الإبداعي ذاته، أو المحصلة أو الناتج الذي ينشأ عن القدرة على الإبداع وعن العملية الإبداعية التي تؤدي في آخر الأمر إلى إنجاز العمل الإبداعي وتحقيقه. وهذا المفهوم الثالث هو المشهور مع عدم تجاهل المفهومين الآخرين إذ أن العمل الإبداعي ينجم عن قدرات وعمليات تؤدي إلى إنجازه.

وقد تعرض علماء كثر لمفهوم الإبداع من وجهات نظر مختلفة؛ فيرى "كوفمان" أن الإبداع قدرة الفرد على إعطاء واكتشاف واستعمال الأفكار الجديدة والنادرة. بينما يرى "مراد وهبه" أنه: " القدرة على ابتكار حلول جديدة لمشكلة ما، وتتمثل هذه القدرة في ثلاثة مواقف مرتبة ترتيباً تصاعدياً وهي: التفسير والتنبؤ والابتكار".

ومن جانبه يعرفه "تورانس" بأنه: "عملية تحسس للمشكلات والوعي بمواطن الضعف والثغرات وعدم الانسجام والنقص في المعلومات والبحث عن حلول وارتباطات جديدة باستخدام المعطيات المتوافرة ونقل أو توضيح النتائج للآخرين". ويعرفه "ولك" بأنه: "التميز في العمل أو الإيجاز بصورة تشكل إضافة إلى الحدود المعروفة في ميدان معين". ويعرفه "جيلفورد" بأنه "سمات استعدادية تضم الطلاقة في التعبير والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات". ويرى "فيشر" أن الإبداع: " أداة يستخدمها المبدعون في إنتاج أعمال أو فنون أو نظريات

عملية مبتدعة. والإبداعية عبارة عن مجموعة من القدرات والاتجاهات التي تمكن الشخص من إنتاج أفكار جديدة مبتكرة.

وهكذا فإن الإبداع هو: المحصلة الناتجة عن القدرة على التنبؤ بالصعوبات والمشكلات التي قد تطرأ أثناء التعامل مع قضايا الحياة، وإيجاد حلول لها ومخارج منها باعتماد أساليب علمية تستند على أفكار عميقة مبتكرة، يتمخض عنها اكتشافات جديدة وأعمال مميزة، تحدث تطوراً وتحسيناً في المجتمع. وهو بالتالي قدرات ومواصفات خاصة تمكن الإنسان المبدع من الاستفادة من المعطيات العلمية المعروفة لإحداث إضافات جديدة أو ابتكارات نافعة بنَّاءة تسهم في تسهيل الحياة وجعلها أكثر إمتاعاً.فالإبداع باختصار شديد التعامل مع المألوف بطريقة غير مألوفة.

مفهوم التفكير الإبداعي:

لا يمكن أن يكون الإنسان مبدعاً إلا إذا كان قادراً على التفكير الإبداعي بامتلاكه القدرة على اكتشاف علاقات جديدة أو حلول أصيلة تتسم بالجدة والمرونة. وهكذا فإن المتمكن من ناحية التفكير الإبداعي هو القادر على إنتاج عدد من الأفكار الأصيلة، ودرجة عالية من المرونة في الاستجابة، وتطوير الأفكار والأنشطة والابتكار لدى معظم التلاميذ بدرجات متفاوتة وتكون نتائجه خلاقة، وليست روتينية أو نمطية.

والقدرة على التفكير الإبداعي من الأهداف الرئيسة التي تسعى المؤسسات التربوية الواعية لبلوغها. فما التفكير الإبداعي ؟ وكيف يمكن تعليمه ؟

التفكير الإبداعي هو: نمط متقدم من التفكير يتوصل إليه المتعلم بعد تدريب مكثف على أنماط التفكير العلمي الأخرى، ويمكنه من التكيف مع أحوال المجتمع الطارئة، والتعامل مع قضايا الحياة بوسائل مبتكرة. لذلك فهو يعد من المهام الوطنية التي تسعى المؤسسات التربوية لإنجازها، وذلك لأن التفكير الإبداعي يساعد المتعلمين على تنمية قدراتهم على إدراك ما تلتقطه أسماعهم وما يقع تحت أبصارهم بيسر والتعامل مع بسهولة، كما أنه ينمي قدراتهم العقلية على التخطيط والتنفيذ بنشاط وحيوية، وعلى معالجة المواقف

الطارئة بأساليب متنوعة، مما يمكنهم من خدمة مجتمعاتهم وإيجاد حلول لمشاكلها بأساليب ووسائل علمية متطورة.

والتفكير الإبداعي:عملية عقلية تتميز بالشمولية والتعقيد. وتنطوي على عوامل معرفية وانفعالية وأخلاقية متداخلة تشكِّل حالة ذهنية نشطة وفريدة، وهو سلوك هادف لا يحدث في فراغ أو بمعزل عن محتوى معرفي ذي قيمة، لأن غايته تتلخص في إيجاد حلول أصيلة لمشكلات قائمة في أحد حقول المعرفة أو الحياة الإنسانية. وهو بالتالي تفكير متشعب أصيل عادة ما يتحدى ويخترق مبادئ موجودة ومألوفة ومقبولة" وهو الأسلوب الذي يستخدمه الفرد في إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار حول المشكلة التي يتعرض لها (الطلاقة الفكرية) وتتصف هذه الأفكار بالتنوع، والاختلاف (المرونة) وعدم التكرار أو الشيوع (الأصالة).

ويرى "نوول" أن التفكير الإبداعي هو " التفكير الذي يتسم بعدم التقليد، وتتسم نواتجه بالجدة والقيمة لدى كل من الشخص المفكر والثقافة التي ينتسب إليها، وتدفع المفكر إليه دافعية قوية ومثابرة عالية، ويتضمن المهام التي يقوم بها الفرد بسعيه لصياغة واضحة لمشكلة غامضة وغير محددة في البداية " ولا يحول قوله عدم التقليد دون الاطلاع على الأفكار السابقة، وإنما يدرسها ويمحصها وينتقدها، فإن أتى بشيء جديد عنها فإنه يكون قد أبدع. ويعرفه "فتحي جرون" بأنه:نشاط عقلي مركب وهادف توجهه رغبة قوية في البحث عن حلول أو التوصل إلى نواتج أصيلة لم تكن معروفة سابقاً".

يستفاد مما سبق أن التفكير الإبداعي هو تفكير متجدد قائم على أسس علمية، ويتغذى من منهاج مدروس ومتكامل، وينمو بالجد والاجتهاد وسعة الاطلاع، ويثمر أفكاراً نافعة، ويترتب عليه تغيرات مرغوبة في السلوك وفي طرائق التفكير، وهو غاية مهمة تصبوا إليه التربية البنَّاءة، لأنه تفكير منتج ناجم عن رغبة ملحَّة في التوصل إلى حلول مرضية لمشكلات المجتمع الحادثة والمتوقعة.

وبناءً على التعريفات السابقة تم حصر التفكير الإبداعي في المداخل التالية:

أ- العملية الإبداعية Creative Process.

ب- الإنتاج الإبداعي Creative Product.

ج- سمات الشخص المبدع Characteristics of Creative Person.

أ- تعريف التفكير الإبداعي على أساس العملية الإبداعية: Creative Process

ينزع أصحاب هذا النوع من التعريفات إلى تعريف التفكير الإبداعي عن طريق تعريف عملية الإبداع ذاتها، ولما كانت هذه العملية غير ظاهرة ومعقدة حيث تجرى داخل المخ والجهاز العصبي للإنسان؛ لذا فإن من حاولوا تعريفها قد لجؤوا في معظم الأحوال إلى محاولة تبسيطها بتقسيمها إلى مراحل.

وأشهر هذه التقسيمات وأقدمها هو تقسيم "جراهام والاس" (G. Wallas)، الذي وصف العملية الإبداعية بأنها تتم في مراحل متباينة، تتولد خلالها الفكرة الجديدة من خلال أربع مراحل، هي:

1- **مرحلة الإعداد Preparation**: التي تتضمن دراسة المشكلة بالإطلاع والتجربة والخبرة.

2- **مرحلة الكمون أو الاختمارIncubation**: التي تتضمن الاستيعاب لكل المعلومات والخبرات المكتسبة الملائمة وهضمها أو تمثيلها عقلياً.

3- **مرحلة الإشراق أو الكشف أو الوميض Illumination**: التي تتضمن انبثاق شرارة الإبداع وهي اللحظة التي تنبثق فيها الفكرة الجديدة.

4- **مرحلة التحقق Verification**: التي تتضمن الاختبار التجريبي للفكرة المبتكرة وتقييمها.

وتعد مرحلة الإعداد مرحلة مهمة؛ حيث يتاح فيها للمبدع أن يحصل على المعلومات والمهارات والخبرات التي تمكنه من تناول موضوع الإبداع أو تحديد المشكلة، وقد تبين أن ذوي المستوى المرتفع في الإبداع هم الذين يخصصون جزءاً كبيراً من الوقت الكلي للمرحلة الأولى الخاصة بتحليل المشكلة، وفهم عناصرها قبل الشروع في محاولة حلِّها، على عكس ذوي المستوى الأولي في الإبداع الذين مُنحوا وقتاً أقل لتلك الخطوة.

أما الكمون ربما يقود دون أن يفطن الفرد إلى رموز جديدة أكثر فائدة مستمدة من البيئة كما يسمح لنمو التمثيل الذهني (Ideation) في حين يكون الفرد منغمساً في نشاط آخر. وقد وضح من إحدى التجارب أن أداء الفرد في عمل سابق ربما يسهل الاستبصار في عمل لاحق حتى ولو كان لا يفطن إلى الارتباط بينهما.

في حين أن مرحلة الإشراق تتوهج فيها الفكرة وتظهر فجأة بشكل جَلي ومترابط مع الأحداث التي تسبقها، أو التي تكون مصاحبة لها. وعادة ما تكون هذه المرحلة مسبوقة بسلسلة من الأفكار التي تم التعامل معها في المرحلة السابقة. وعلى الرغم من وجود جوانب لاشعورية لهذه العملية، إلا أن لها جانباً شعورياً خافتاً، مما يجعلها تبدو غير واضحة المعالم في البداية، ويجعل الإنسان يعي بالعلاقات ولكن بشكل غير واضح، وبعيداً عن متناوله بشكل مباشر. ويعقب ذلك حدوث التجلِّي، وانبثاق شرارة الإبداع.

أما مرحلة التحقق فهي تشبه مرحلة الإعداد من حيث إنها واعية تماماً، وتخضع للقوانين والأسس والمبادئ المنطقية، مثلها في ذلك مثل مرحلة الإعداد. ويتم في هذه المرحلة تقييم واختبار الحلول أو الأفكار المنتجة، وإعادة فحص محتواها، والنظر في مدى تمشيها مع قوانين المنطق العقلي وصلاحيتها للعمل، أو التنفيذ.

ويُعد معرفة معلم ومعلمة أطفال المستقبل لمراحل عملية التفكير الإبداعي خطوة مهمة نحو تنمية الوعي بطبيعة العمليات المعرفية التي قد تحدث داخل عقل الطفل المبدع، هذا قد يجعلهم يتفهمون مسار أنشطة الأطفال بحيث يتوقفون مثلاً عن تكليف الأطفال بمواصلة التفكير عندما يشعرون بالإجهاد الذهني للطفل، وإتاحة الفرصة والحرية لهم في أن يلقوا نظرة جديدة على مشكلة ما. مما يكون له الأثر الإيجابي في تنمية قدراتهم الإبداعية. وإخراج استعداداتهم الكامنة إلى حيز الوجود.

ب. تعريف التفكير الإبداعي على أساس الإنتاج الإبداعي Creative Product:

وهناك بعض الآراء نظرت إلى التفكير الإبداعي في إطار أكثر تحديداً حيث ظهرت تعريفاتهم تحدد معنى التفكير الإبداعي في ضوء ما ينتج عنه من ناتج.

فأشار"ميد" (Mead) إلى أن التفكير الإبداعي هو "تلك العملية التي يقوم بها الفرد والتي تؤدي إلى اختراع شيء جديد بالنسبة إليه".

فالإنتاج الإبداعي يمكن أن يكون مقبولاً إذا وصل إليه الفرد لأول مرة، رغم وصول آخرين من قبل إلى إنتاج مشابه، فالجدّة هنا بالنسبة للفرد ذاته.

وينتمي لهذا النوع من التعريفات تعريف "كالفن تايلور" ((C. Taylorالذي وضع خمس – مستويات للتفكير الإبداعي:

1- **مستوى الإبداع التعبيريExpressive Creativity**: وتتمثل في الرسوم التلقائية، وفي التعبير المستقل دون حاجة إلى مهارة أو أصالة أو نوعية الإنتاج.

2- **مستوى الإبداع الإنتاجيProductive Creativity**: وفيه يتم تقيد النشاط الحر التلقائي وضبطه وتحسين أسلوب الأداء في ضوء قواعد معينة.

3- **مستوى الإبداع الاختراعيInventive Creativity**: وأهم ما يميز هذا المستوى الاختراع والاكتشاف اللذان يضمان مرونة في إدراك علاقات جديدة وغير عادية بين مجموعات أجزاء كانت منفصلة من قبل.

4- **مستوى الإبداع الانبثاقيEmergentive Creativity**: ويمكن الاستدلال على هذا النوع من الإبداع بظهور نظرية جديدة أو قانون علمي تزدهر حوله مدرسة فكرية جديدة.

5- **مستوى الإبداع التجديدي Innovative Creativity**: ويستدل على هذا النوع من الإبداع بقدرة الفرد على التطوير والتجديد الذي يتضمن استخدام المهارات التصورية الفردية.

ويَعتبر "كالفن تايلور" أن المستوى الأول أو الإبداع التعبيري Expressive Creativity هو المستوى الذي يقابل مرحلة النمو الخاصة برياض الأطفال حيث إن كل الأطفال يستنفذون معظم جهودهم الإبداعية في هذا المستوى وقليل منهم هو الذي يرقى إلى المستوى الثاني ".

فطفل هذه المرحلة لن يكون قادراً على الاختراع كما هو الحال بالنسبة للكبار، إلا أن ذلك لا يمنع من أن ننظر إلى هذه المرحلة على أنها مرحلة من عمر الإنسان تشتمل على أهم مقومات التفكير الإبداعي. فالطفل تلقائي بطبيعته، والتلقائية التعبيرية في تمامها تصل إلى الإبداع؛ فالإبداع تعبير ذاتي تلقائي، والتعبيرية عند الأطفال هي خطوة نحو التفكير الإبداعي بالمعنى الحقيقي، وعلى ذلك يجب أن ننظر إلى إبداع طفل المستقبل من خلال تعبيراته بصورها المختلفة (التعبير الفني- التعبير القصصي- التعبير الحركي- التعبير الموسيقي..).

ويرى"جوان" (P. Joane) التفكير الإبداعي أنه " القدرة على إنتاج شيء جديد والخروج بمخزون من المعلومات التي ينتفع بها ".

وتساير "لايرا برك" (L. Berk) كل التعريفات السابقة وترى أن التفكير الإبداعي هو" القدرة على إنتاج عمل يتصف بالأصالة والملائمة ".

يتضح مما سبق أن هناك اتفاقاً بين العلماء في تحديد مفهوم التفكير الإبداعي في ضوء ما ينتج عنه من ناتج. فالتفكير الإبداعي من هذا المنظور هو إنتاج أشياء وأفكار جديدة فنياً، أو أدبياً، أو علمياً، كما يمكنا الحكم على الجدّة بالنسبة للفرد ذاته، أو بالنسبة للمجتمع وعلى ذلك فإن إبداع الطفل يكون جديداً بالنسبة إليه حتى ولو كان معروفاً للكبار. وهكذا يحدد التفكير الإبداعي في ضوء ما نتج عنه من ناتج.

ج. تعريف التفكير الإبداعي على أساس السمات الشخصية:

هناك بعض الآراء التي نظرت إلى الإبداع في ضوء السمات الشخصية التي يتميز بها الفرد المبدع؛ حيث يتسم الفرد المبدع بمجموعة من الخصائص الشخصية التي تميزه عن غيره من الأفراد العاديين، والتي تساعده في عمليات الإبداع المختلفة؛ لذا كان الاهتمام منذ البداية في مجال التفكير الإبداعي منصباً بصورة رئيسة على دراسة شخصية المبدع؛ بهدف الوصول إلى فهم مدقق لطبيعة ظاهرة الإنتاج الإبداعي، وهذا يؤدي بالضرورة إلى تحسين الوسائل في التعرف على من لديهم القدرات الإبداعية والارتفاع بمستوى القدرة

التنبؤية لهذه الوسائل، وفضلاً عن ذلك، قد تؤدي المعرفة بهذه الخصائص والسمات إلى تنظيم برامج تربوية وإرشادية من أجل تنميتها بين الأفراد.

وقد استنتج "دلاس" (Dellas) من دراسات عديدة للأشخاص المبدعين أن هناك تركيبة من السمات السيكولوجية تظهر متسقة مع القدرة على التفكير الإبداعي، وتشكل نمطاً متميزاً للشخصية الإبداعية تعتمد هذه التركيبة على اهتمامات ودوافع واتجاهات الشخص المبدع أكثر ما تعتمد على مستوى قدراته العقلية.

كما يرى "جيلفورد" (Guilford) أن التفكير الإبداعي يعتمد على الأصالة والمرونة والطلاقة والإحساس بالمشكلات.

وتشير الدراسات إلى حصول المبدعين على درجات مرتفعة في الاختبارات التي تقيس عوامل المرونة، والطلاقة، والدينامية، والصراحة، والوضوح، وحب الاستطلاع، والاستقلال الذاتي، وإصدار الأحكام، والثقة بالنفس، والتحلي بروح المرح والدعابة.

ويقدم "عبد المنعم الحفني" تعريفاً في هذا المجال حيث يرى "أن الفرد المبدع يتميز بالطلاقة في التعبير ويقصد إلى العبارة التي ينشدها من أيسر سبيل، وطلاقة تعبيره تكون بحسب مجاله، فإن كان موسيقاراً فهي بالأنغام، وإن كان رساماً فبالألوان والخطوط، وإن كان نحاتاً فبالأوضاع، وإن كان رياضياً فبالأرقام والرموز. والمبدع الفنان يتميز بحس وجداني عالي، وفي كل الأحوال هو الذي يرى ويسمع ويفكر ويتصور كما لا يفعل الناس".

وقد وصف "دافيد بيركنز" D. Perkins الشخصية المبدعة، على أنها تشمل ست سمات سيكولوجية مترابطة، ولكنها أيضاً متمايزة، مضيفاً إلى ذلك أن الأفراد أو المبدعين قد لا يحوزون السمات الست كلها، إلا أنه كلما زاد نصيبهم منها كانوا أكثر إبداعاً، وهي كالتالي:

- نزوع قوي إلى الجماليات الشخصية.
- القدرة العالية على اكتشاف المشكلات.
- الحراك العقلي، أي القدرة على التفكير بمنطق المتضادات، والمتناقضات.

- الاستعداد للمخاطر من خلال البحث دوماً عن الإثارة.
- سمة الموضوعية إلى جانب البصيرة والالتزام.
- الحافز الداخلي (الدافع) أي القوة الكامنة وراء الإبداع.

وقد كشف عدد من البحوث والدراسات في مجال الإبداع والملامح الرئيسة لشخصية الفرد المبدع أنه يتميز بالذكاء، وأكثر ميلاً إلى السيطرة والمخاطرة، وأكثر حساسية وتحكماً في الإرادة، والميل إلى التحرر، والاكتفاء الذاتي.

وتأسيساً على ما سبق يتضح أنه لا يوجد مفهوم واحد محدد لمصطلح التفكير الإبداعي فإن تنوع التعريفات قد يكون فيه من السعة والمرونة بحيث يجعل من تعريفات التفكير الإبداعي إبداعاً. ويؤكد ذلك أن كل تعريف شائع في الميدان يركز على أحد جوانب التفكير الإبداعي دون سواه. إلا أن هناك عناصر مشتركة. مثل التأكيد على أن:

- التفكير الإبداعي عبارة عن إنتاج تعبيرات وأشياء وأفكار جديدة غير مألوفة وإن كان لا يمنع أن يكون تكويناً جديداً لعناصر قديمة.
- بدون الأصالة والحداثة لا يوجد إبداع.
- التفكير الإبداعي نوع من طرق حل المشكلات.
- التفكير الإبداعي يقابله التفكير التباعدي.
- هناك سمات شخصية للفرد المبدع مثل: حب الاستطلاع، التخيل، الاكتشاف والاختراع، المرونة، الأصالة، الطلاقة، الصراحة، التحلي بروح المرح والدعابة.

مكونات التفكير الإبداعي:

صنف "جيلفورد"Guilford مكونات التفكير الإبداعي تحت ثلاث فئات حسب ترتيب حدوثها في عملية الإبداع على النحو التالي:

- **أولاً: مكونات تشير إلى منطقة القدرات المعرفية**: وتشمل الإحساس بالمشكلات، وإعادة التنظيم والتجديد.

- **ثانياً: مكونات تشير إلى منطقة القدرات الإنتاجية**: وتشمل الطلاقة، والأصالة، والمرونة. (وهو يرى أن هذه الجوانب الثلاث هي المكونات الرئيسة للتفكير الإبداعي في العلم والفن).
- **ثالثاً: مكونات تشير إلى منطقة القدرات التقييمية**: وتشمل عامل التقييم بفروعه.

وسوف نتناول بشيء من التفصيل المكونات الأساسية للتفكير الإبداعي على النحو التالي:

1- الطلاقة Fluency:

تلعب الطلاقة دوراً مهماً في معظم صور التفكير الإنساني وخاصة التفكير الإبداعي، وتفصيل الطلاقة إلى جزئياتها وتشمل طلاقة الأشكال البصرية وتتصل بالتفكير الإبداعي في الفنون التشكيلية، وطلاقة الأشكال السمعية وتتصل بالموسيقى، وطلاقة الرموز وتتصل بالتأليف الأدبي في الشعر والسجع، وطلاقة المعاني والأفكار ولها علاقة وثيقة بالإبداع الأدبي والعلمي وأخيراً الطلاقة العامة ولها علاقة بالمهن والأعمال والبيع والإعلان والدعاية والخطابة والتدريس... إلخ.

ويقصد بها "القدرة على توليد عدد كبير من البدائل، أو المترادفات، أو الأفكار، أو المشكلات، أو الاستعمالات عند الاستجابة لمثير معين، والسرعة والسهولة في توليدها، وهي في جوهرها عملية تذكر واستدعاء اختيارية لمعلومات، أو خبرات، أو مفاهيم سبق تعلمها".

وقد تم التوصل إلى عدة أنواع للطلاقة عن طريق التحليل العاملي للقدرات العقلية. وفي ما يلي تفصيل لهذه الأنواع.

أ- الطلاقة اللفظية Verbual Fluency:

وهي "القدرة على سرعة إنتاج أكبر عدد ممكن من الكلمات التي تتوافر فيها شروط معينة". وتبدو على شكل قدرة على إنتاج أكبر عدد من الكلمات التي تحتوي على حروف معينة أو مجموعة من الحروف أو النهايات المتشابهة وتلاحظ هذه القدرة على وجه

الخصوص، لدى المبدعين في مجالات العلوم الإنسانية والفنون، مثل:

- ذكر أكبر عدد ممكن من الكلمات على وزن "رجل".
- ذكر أكبر عدد ممكن من الحيوانات التي تبدأ بحرف "ج".
- ذكر أكبر عدد ممكن من الجمادات التي تنتهي بحرف "م".
- ذكر أكبر عدد ممكن من أفراد الأسرة يبدأ بحرف "أ".

ب- الطلاقة الفكرية Associational Fluency:

وتشير إلى "القدرة على إنتاج أكبر عدد من التعبيرات التي تنتمي إلى نوع معين من الأفكار، في زمن محدد وتعد الطلاقة الفكرية من السمات عالية القيمة في مجالات الفنون والآداب، وتدل على القدرة في إنتاج الأفكار لمقابلة متطلبات معينة. ويتم الكشف عنها باستخدام اختبارات تتطلب من المفحوص القيام بنشاطات معينة"، مثل:

- تسمية أكبر عدد من الأشياء، والتي يمكن استخدامها في الطعام.
- ذكر الاستخدامات الممكنة لعلبة سمن قديمة.
- ذكر نهايات مناسبة لبعض القصص التي يتم حكايتها.

ج- الطلاقة التعبيرية Expressional Fluency:

وتعني "القدرة على التفكير السريع في الكلمات المتصلة الملائمة"، ويمكن التعرف على هذا العامل عن طريق الاختبارات التي تتطلب من المفحوص إنتاج تعبيرات أو جمل تستدعي وضع الكلمات بشكل معين أو في نسق معين لمقابلة متطلبات عملية تكوين الجمل أو التعبيرات.

ومن أمثلة ذلك إعطاء الطفل بأن:يضع الكلمة المناسبة أمام الصورة أو يضع عنواناً لقصة استمع إليها،وأن يضع نهاية غير تقليدية لنفس القصة،أو يغيِّر من الأحداث أو الشخصيات بشكل منطقي، أو يسرد قصة من وحى خياله.....وغيرها.

د- الطلاقة الارتباطية Associational Fluency:

وهي "القدرة على إنتاج أكبر عدد ممكن من الوحدات الأولية ذات خصائص معينة

مثل علاقة تشابه، تضاد، وهو عامل يتطلب إنتاج أفكار جديدة في موقف يتطلب أقل قدر من التحكم، ولا تكون لنوع الاستجابة أهمية، وإنما تكون الأهمية في عدد الاستجابات التي يصدرها المفحوص في زمن محدد".

ومن أمثلة ذلك تكليف الطفل بأن: يعيد ترتيب بعض الصور ليكوِّن شكلاً جديداً، أو يذكر العلاقة في الشبه بين الفيل وفرس النهر، أو يذكر علاقة الاختلاف بين الإنسان والحيوان.

ومما سبق يمكننا تحديد مفهوم الطلاقة للطفل بأنها: "القدرة على التعبير سواء كان الفني، أو الحركي، أو الموسيقي، بأكبر عدد ممكن من الاستجابات في زمن محدد".

2- المرونة Flexibility:

المرونة هي "القدرة على تغيير الحالة الفعلية بتغيير الموقف". والمرونة عكس التصلب العقلي الذي يتجه الشخص بمقتضاه إلى تبني أنماط فكرية محددة يواجه بها المواقف المتنوعة.

كما يقصد بها زيادة عدد فئات ما تم إنتاجه، والفئة هي مجموعة أشياء ذات خاصية واحدة، مثل: تفاحة، وموزة، وتين من فئة الفاكهة، فكلما زادت القدرة على تنويع الفئات زادت القدرة على المرونة، وهو ما يجب تنبيه الطفل إليه، وتشجيعه على تنويع وتغيير خططه وأفكاره كلما واجهوا متغيراً جديداً في حياته.

3- الأصالة Originality:

تعد الأصالة من أكثر الخصائص ارتباطاً بالتفكير الإبداعي، والأصالة هنا بمعنى الجدَّة والحداثة، وهي العامل المشترك بين معظم التعريفات التي تركز على النواتج الإبداعية كمحك للحكم على مستوى التفكير الإبداعي.

وتشير الأصالة إلى "القدرة على إنتاج أكبر عدد ممكن من الاستجابات غير العادية، غير المباشرة أو الأفكار غير الشائعة والطريفة، وذلك بسرعة كبيرة، ويشترط أن تكون مقبولة ومناسبة للهدف، مع اتصافها بالجدة والطرافة".

وللحكم على عمل ما بأنه جديد أو أصيل لابد أن يكون الحكم عليه من خلال نسبه إلى مجال معين أو إطار مرجعي، فالطفل الذي يأتي بسلوك غير مسبوق قد يكون مبدعاً بالنسبة لزملائه الأطفال ولكنه ليس بالمبدع إذا قيس عمله إلى أعمال الراشدين، وكذلك فإن ما قد يظنه فرد ما في مجتمعه جديداً وأصيلاً قد لا يكون كذلك في مجتمع آخر.

فمعايير الملائمة الخاصة بالكبار لا تتناسب بصورة عامة مع معايير الأطفال، ويمكن اعتبار جهود الأطفال ملائمة إذا كانت ذات معنى وهدف أو تؤدي لإيصال فكرة بطريقة ما، وإذا استطاع الأطفال أن يشرحوا فكرة ما أو عملوا على حل مشكلة فإننا يمكن أن نعتبر جهودهم ملائمة، وإذا استطاعوا عمل هذا بطريقة خلاقة وجديدة على الأقل بالنسبة لهم فإننا نستطيع اعتبار جهودهم إبداعية.

وفيما يلي أمثلة على الأصالة:

- ذكر النتائج التي يمكن توقعها لو تم اكتشاف طريقة للعيش في مكان غير الأرض.
- ذكر النتائج التي يمكن توقعها لو تحولت مياه الأنهار لمياه مالحة.
- تصويب كرة القدم في المرمى بطريقة جديدة.
- ذكر حلول مختلفة ومبتكرة لمشكلة العنف عند الأطفال.
- التعبير بالرسم عن شكل الحياة في عام 3050م.

وعلى هذا الأساس يمكن تعريف الأصالة بالنسبة للطفل بأنها "القدرة على التعبير القصصي، أو التعبير الفني، أو التعبير الحركي، أو التعبير الموسيقي، بأكبر عدد ممكن من الاستجابات في صورة جديدة غير مألوفة".

وقد أفادت العديد من الأبحاث التربوية أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هي الأكثر فاعلية في طريق تنمية قدراته الإبداعية؛ خاصة مع ما يلاحظ لديهم في هذه السنوات من سعة خيال ومهارات تكشف عنها ألعابهم ووسائل الترفيه التي يميلون إليها، والأسئلة التي يطرحونها على الوالدين والمعلمين. وهذا لا يعني أن الإبداع ينتهي بمرور هذه المرحلة العمرية؛ حيث إن تنمية التفكير الإبداعي لا تتقيد بسن معين وإن كان تحفيزها منذ الصغر هو الأسلوب الأكثر إيجابية.

لذلك صار لزاماً على معلمة ومعلم الأطفال أن يمتلكا المهارات والكفايات التي تساعدهما على أداءات تمكنهما من:

- التعرف واكتشاف السمات والقدرات الإبداعية للأطفال.
- تعليم الأطفال الحل الإبداعي للمشكلات.
- إتاحة الفرص الملائمة للتعبير الحر التلقائي للأطفال في مجالات الأنشطة المختلفة (نشاط قصصي- نشاط فني- نشاط حركي- نشاط موسيقي).
- وتنمِّى قدرة الطفل على التعبير الحر الذي يمكنه من اكتشاف المشكلات والمواقف ومن إعادة صياغة الخبرة في أنماط جديدة عن طريق تقديم أكبر عدد ممكن من الاستجابات والأنشطة غير المألوفة.
- تدريب الطفل على المرونة والحداثة، من خلال مواقف تنظمها المعلمة لذلك.

وتضيف "انشراح المشرفي" أن الطفل يتمتع بصفات إبداعية لأنه يتمتع بذكاء قائم على الدهشة والتعجب، كما أنه مولع بحب الاستطلاع وكشف كل ما يحيط به، وذلك من خلال روح اللعب التي تسيطر على معظم أنشطته، وتعد هذه الصفات جوهر اكتساب المعرفة والتفكير الإبداعي، كما أن الطفل شخص خيالي يمارس أنشطته الخيالية بدون حدود، ويتعجب من الأشياء التي يراها البالغون على أنها أشياء عادية أو مألوفة، كما أنه يمارس أنشطته التعبيرية بطلاقة وتنوع، ويتمتع بالمرونة في أنشطته الحرة، لأنها غير ثابتة وسريعة التغيير.

ولكن من المسؤول عن الاهتمام بتلك المهارات الإبداعية لدى طفل المستقبل وتنميتها؟ وكيف ستكون شكل البيئة التي تنمِّى تلك المهارات؟ هذا ما سيجيب عنه الفصل القادم.